

يعيش العالم اليوم من أقصاه الى أقصاه حالة من القلق وعدم الاستقرار على الرغم من التقدم التكنولوجى الهائل وإذا كانت تلك الحالة ظاهرة بوضوح فى دول العالم الثالث حيث الفقر والتخلف والتفكك فان الدول التى تقود المسيرة الحضارية المعاصرة ليست ببعيدة من أجواء هذا الاضطراب فإذا نظرنا الى المجتمع الأمريكى نجد أنه يعيش واقع مؤلم لم يكن يتوقعه واقع غارق فى مستنقع من الفساد والاجرام ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض على قيم المجتمع وموروثاته، وفى تقرير لشبكة (C.N.N) ومجلة تايم الأمريكية بعد حادث (اوكلاهوما) بأيام أكد التقرير أن ٢٧٪ من الأمريكىين يؤيدون الميليشيات العسكرية المتطرفة وأن عددها يزيد على ١٤ منظمة يربو عدد أعضائها عن (١١٢) ألف جندى مدربون تدريباً عالياً كما أن المؤسسات الأمريكية المختصة بالقضايا الاجتماعية والاخلاقية والتربوية تقول إن ٣٥٪ من نساء أمريكا يتعرض سنوياً للاغتصاب وأن جريمة واحدة تقع كل ثلاث دقائق، وأن الطفل الأمريكى يرى على شاشات التلفاز ثمانية الاف جريمة ومائة الف حادث عنف عند تخرجه من المدرسة الابتدائية، وأن السبب الرئيسى للوفيات بين الشباب والرجال البالغين هو مرض الايدز، وأن ٦١٪ من طلاب المرحلة الثانوية، و ٣٢٪ من الطلاب الجامعيين يعترفون أنهم غشوا فى امتحانات السنة الدراسية الماضية تلك صور المجتمع الأمريكى من الداخل مجتمع يخشى الزوال نتيجة انهيار النظام القيمى داخله.

أما إذا ما انتقلنا إلى اليابان ورغم التقدم التكنولوجى الهائل ومكانتها الاقتصادية إلا أنها أيضاً ليست بعيدة عن هذا الانهيار القيمى، حيث اهتزت من جراء هجمات

الغازات السامة التى شنتها طائفة اووم شزىكيو البوزيه مما تسبب فى نشر الذعر فى اوساط المجتمع اليابانى، وقد أكدت التحقيقات أن لدى تلك الطائفة كميات كبيرة من المواد الكيماوية تكفى لقتل عشرة ملايين إنسان على حد قول إحدى الصحف اليابانية^(١٨٨) كما أن حادث سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وفى بلاد أوروبا الشرقية برغم أنه طبع بالطبعة السياسية والاقتصادية إلا أنه فى التحليل النهائى يعبر عن حاجة هذه الدول إلى نظام جديد من القيم يتفق وكرامة الإنسان.

وإذا، نظرنا إلى المجتمع الأوروبى بصفة عامة، وواقع الاقليات الإسلامية وما يحدث لمسلمى البوسنة والهرسك من القتل وسفك الدماء واغتصاب للنساء ومحاولة القضاء على الهوية الإسلامية لتلك الأمة، أمام سلبية المنظمات والهيئات العالمية وعدم تحريك الضمير العالمى تجاه تلك القضية، إنما يدل فى مجمله على انهيار للقيم والاخلاقيات داخل تلك المجتمعات.

وإذا انتقلنا إلى المجتمع الإسلامى لنجد أنه ليس بعيداً عن تلك الازمة وأن كان افضل بكثير من الواقع المؤلم للدول والمجتمعات التى تتدعى قيادتها للمسيرة الحضارية.

فقد بدأت تظهر تلك الازمة فى عالمنا الإسلامى فى صورة السلوك المنحرف من جرائم وشذوذ، وتهرب من الضرائب وفساد سياسى، وهذا السلوك يمكن أن يؤدى إلى أزمة قيمية تهدم النظام الاجتماعى، وقد تسبب فى إثارة القلاقل أو تهدم سيادة القانون وتجعل تمسك المرء بقيمه والعمل بوحى منها أمراً صعباً عليه، فهناك أزمة خلقية يعانى منها مجتمعنا الآن تتمثل فى عدم التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ وعدم معرفة ما يتعين على الناس أن يتمسكوا به من مبادئ وقيم وعجزهم عن تطبيق مثلهم الخلقية فيما يتعرضون له من مواقف ومن هنا بدأت مشكلة القيم تفرض نفسها، بل يكاد الاهتمام بها يكون من أهم المشكلات التى تواجه المجتمعات بل ويمكن القول بأن الكثير من مشكلاتنا المعاصرة هى مشكلات أخلاقية تعكس خلفها أزمة قيمية تهدد تلك المجتمعات.

وبدأ التساؤل يدور حول كنهها وطريقة نقلها وكيفية أكتسابها ومدى الثقة فيها من جانب من يقومون بنقلها إلى الآخرين.

من هنا بدأت التربية تتحمل المسؤولية فى حل تلك الأزمة القيمية التى تعانى منها المجتمعات بصفة عامة، ولذلك أكد «علماء التربية» منذ زمن بعيد على أن الاهتمام بتنمية الجانب القيمى يمثل وظيفة أساسية للتربية.

فالتربية فى جوهرها عملية قيمة تسعى المؤسسات التعليمية إلى غرسها لدى أبنائنا بل أن أهم ناتج للتربية هو أن تتخذ لها مجموعة من القيم البناءة الدائمة التى تخضع لها الجماعة وتنظم حولها حياة الأفراد والجماعات، وما لم يحقق التعليم والدراسة هذا الهدف فإن فائدة المعارف والمهارات المكتسبة تنعدم، فالشخص المتعلم الذى لا توجه معارفه وقدراته نحو أهداف قيمة يتخذها لنفسه، يصبح خطرا على نفسه وعلى المجتمع على حد سواء، ومن الملاحظ أن عملية البناء القيمى ليست مسئولية مؤسسة اجتماعية بعينها أو منهج دراسى بعينه ولكنها مسئولية كل من له علاقة بعملية التربية سواء فى إطار الأسرة أو المدرسة أو أى مؤسسة ومن خلال كافة الوسائل المتاحة للفرد فى أى مجال وعلى أى مستوى. ومادة التاريخ الإسلامى كمادة دراسية لها دورها فى هذا الشأن بل هى ليست بمنأى عن هذا الأمر فهى مادة دراسية فى الجدول الدراسى، ولها وظيفة أساسية فى بناء النظام القيمى.

إن التاريخ الإسلامى ليس فرعاً من فروع التحصيل يدرس لذاته ولكنه نوع من أنواع المعرفة يفيد الناس فى حياتهم اليومية، ويذكر «المسعودى»: «أن التاريخ علم يستمتع به العالم والجاهل، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وأداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتبس»، ويقول «ابن خلدون» عن التاريخ: «أن فن التاريخ فن غزير المذهب، شريف الغاية، اذهو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم والأنبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياساتهم حتى تتم الفائدة والإقتداء فى ذلك لمن يرويه فى أحوال الدنيا والدين» ويؤكد «المقريزى» أن فائدة التاريخ فى أنه يجعل المرء يشرف فى وقت

قصير على ما كان، فتنهذب بتدبر ذلك نفسه، وترتاض أخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويجتنبه^(٢١) ويذكر «ابن الأثير»: أن المغزى من دراسة التاريخ جعلها منافع دنيوية وآخروية أما الدنيوية فإن الملوك ومن إليهم الأمر والنهى إذا وقفوا على جانبها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرونها خلف عن سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبح الآخروية وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال إستقبحوها وأعرضوا عنها وطرحوها، وإذا رأوا سيرة الولاة والعارفين وحسنها وما يتبعها من الذكر الجميل بعد ذهابهم وأن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالهم درت استحسنا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. وأما الآخروية فإن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها أى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها على أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد بها وأعرض عنها وأقبل على التزود للأخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من النقائص^(٢٢).

من هنا نجد أن مادة التاريخ الإسلامى تعنى بالمكان والزمان وتفاعل الإنسان معه ونواتج هذا التفاعل وبالتالي فهى تعنى بدراسة القيم طالما هناك بشر ومكان، فالإنسان هو الذى يتخذ القرار استنادا على مفاهيم معينة، وقيم خاصة، من هنا تكون ضرورة توجيه الاهتمام المقصود من خلال تدريس التاريخ بالقيم بحيث تكون بمعناها الواسع تربية بيئية اجتماعية تستهدف فى جوهرها الإعداد للمواطنة السليمة.

كما أن دراسة التاريخ الإسلامى تهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية فى مواقف متعددة، وعلاقات مختلفة واتصال الطلاب بشخصيات الماضى كالأنبياء والملوك والقادة والزعماء وغيرهم وهذا يولد لديهم الشعور بالعطف والاعجاب والتقدير لبعض هذه الشخصيات العظيمة، وتضع أمامهم أمثلة حية للتفانى فى خدمة المجتمع والنهوض به والتضحية فى سبيله. وتعد الخبرة التاريخية للأمام من مصادر القيم التى يمكن الرجوع إليها لاستخلاصها، هذا بالإضافة إلى تلك المصادر الأخرى من القرآن الكريم والسنة النبوية،

وهذه المصادر متصلة لا يمكن فصل بعضها عن الآخر، فالتاريخ الإسلامى وما يحمله من خبرة تاريخية ما هو إلا تاريخ تطبيق هذا الدين ، وأن القصص القرآنى وما يتضمنه من مواقف وأحداث إنما هى مواقف وأحداث مرت بها تلك الأمة الإسلامية من لدن آدم عليه السلام حتى البعثة النبوية للرسول الكريم، فإذا كان التاريخ والخبرة التاريخية أحد مصادر اشتقاق القيم فهذا يؤكد أن التاريخ الإسلامى من أقوى المناهج الدراسية لتنمية القيم عند الطلاب إذا ما أحسن استغلاله بداية بتحديد أهدافه وحتى أساليب تقويمه.

إن العلاقة بين التاريخ الإسلامى والقيم علاقة واضحة، فدراسة التاريخ الإسلامى تكسب الإنسان مهارة التفكير والتعليم من الأخطاء من خلال فحص الروايات ونقدها والوصول إلى الحقيقة فضلا عن الاستقراء والاستنباط واكسابه فضائل خلقية كثيرة كالصدق والجد والمثابرة والدقة والتجرد من الأهواء وميله لتحقيقه والشعور بالمسئولية وغيرها من القيم والمهارات العقلية العليا.

بل أن التاريخ الإسلامى يطل علينا من نوافذه المتعددة بأمجاده وتقاليده وبطولاته وهذا من أهم مقومات دعائم الوحدة والقوة، وعندما نسال عن أسباب وعلل النكبات والمآسى والأخطاء التى حدثت لنا أنفسنا نرجع بدون وعى إلى التاريخ لنستخرج منه القيم والأخلاقيات التى أدت إلى بناء الحضارات وزوالها وهذا يؤكد أن التاريخ الإسلامى من خلال تعرضه لسير الأنبياء والخلفاء الراشدين وحياة القادة والزعماء وحركة طور الحضارات يهدف إلى غرس مجموعة من القيم لدى الطلاب كتنمية الولاء للوطن والاعتزاز به والتضحية فى سبيله وغير ذلك من القيم، كما أنه يهدف إلى مساعدتهم فى أن يسلوكوا سلوكا رشيدا إزاء المواقف والأشياء والأشخاص فى بيئتهم المحلية بمعنى أن يكونوا قادرين على تطبيق القيم الاجتماعية والدينية فى حياتهم. فالتاريخ الإسلامى بحكم طبيعته يعد مستولا مباشرا عن تنمية الحساسية الاجتماعية والسلوك الاجتماعى السليم لدى المتعلمين وبذلك فهو مادة دراسية منوطة بغرس القيم.

ورغم أهمية التاريخ الإسلامى ودوره فى غرس القيم إلا أن واقع مناهج التاريخ

الإسلامي تشير إلى عكس ذلك، حيث مازالت تلك المناهج بعيدة عن غرس القيم لدى أبنائنا، وهذا ما أكدته واقعنا التعليمي وهذا يجعلنا في حاجة إلى مراجعة النظام القيمي لدى الأبناء وهو ما تلعب التربية دورا بارزا في مواجهته، ومن وسائل التربية في ذلك المنهج الدراسي وخاصة منهج التاريخ الإسلامي الذي يستطيع أن يلعب دورا في حل تلك الأزمة.

وسوف نحاول إبراز دور مناهج التاريخ الإسلامي في غرس القيم لدى الطلاب. حيث يتم تحديد القيم التي يجب أن يتضمنها منهج للتاريخ الإسلامي والتي سوف تُعد إطارا شاملا يستعان به في تخطيط المناهج الدراسية، وفي تحديد المدى والتتابع الذي ينبغي الاعتماد عليه عند وضع أي قدر من القيم في أي منهج من مناهج التاريخ الإسلامي في مراحل التعليم المختلفة، إضافة إلى نموذج قائم على الأسلوب العلمي لتنمية القيم، وهو ما يمثل إطارا يمكن الاعتماد عليه والاسترشاد به في بناء نماذج أخرى من هذا النوع، وهذا النموذج بكل ما يشمله من عناصر ومكونات يعبر عن العلاقات الشبكية بين تلك العناصر والمكونات ويظهر العلاقة بينهما مما يساعد المخطط والمنفذ على أن يكونوا أكثر فهما ووعيا بعملية تنمية القيم نظريا وعمليا. كما أننا سوف نحاول إلقاء الضوء على أن مكانة المعرفة في العملية التربوية وكيف إنها وسيلة لبناء القيم وليست غاية في حد ذاتها فلو أن التربويين اتجهوا إلى تعليم المعرفة لذاتها فليس هناك ما يؤكد أن ذلك سوف يؤدي إلى تكوين القيم المرغوب فيها، بينما إذا اتجهوا إلى بناء القيم مباشرة لكانت المعرفة وسيلة لبنائها.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذين جليلين الأستاذ الدكتور أحمد اللقاني مقدم هذا الكتاب والأستاذ الدكتور يحيى عطية سليمان أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس لما بذلاه من جهد منذ أن كان هذا الموضوع فكرة حتى خرج في صورته هذه.. فلهما منى جزيل الشكر والتقدير عرفانا منى بالجميل.

د/ على الجمل
المدرس بقسم المناهج وطرق التدريس
كلية التربية، جامعة عين شمس

رمضان ١٤١٦
يناير ١٩٩٦